العلا.. رحلة في جوهر التاريخ وسحر الطبيعة السعودية

لطالما كانت "العلا" اسماً يتردد في كتب التاريخ وقصص المسافرين، لكن زيارتها واقعاً تمنحك شعوراً يتجاوز كل ما قيل وكُتب. في الأسبوع الماضي، حزمت أمتعتي مع العائلة وانطلقنا في رحلة سياحية استمرت أربعة أيام، كانت في حقيقتها إبحاراً في مكنونات الجمال والسكينة التي تحتضنها هذه المحافظة العريقة. أكتب هذه السطور لأوثق تجربة شخصية فريدة، راجياً أن تكون دليلاً ملهماً لكل باحث عن وجهة سياحية وطنية تجمع بين عبق الماضي ورفاهية الحاضر.

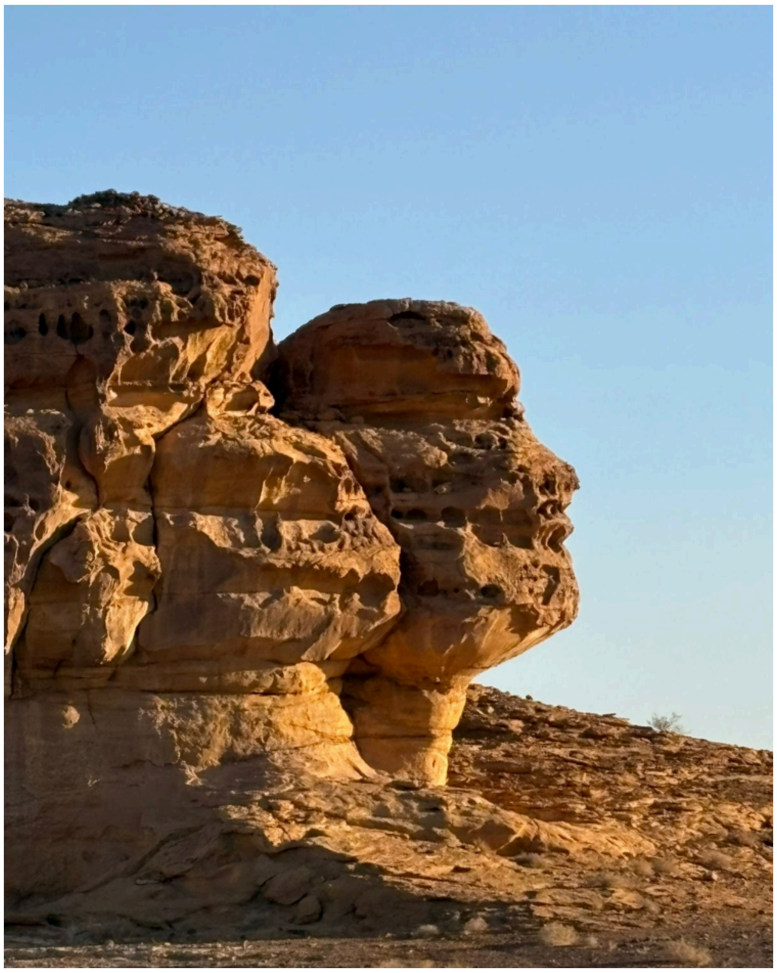

صخرة الوجه

من طيبة الطيبة إلى مهد الحضارات

بدأت رحلتنا براً من المدينة المنورة، بعد أن نلنا شرف الزيارة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . استغرقت الرحلة قرابة الأربع ساعات، سلكنا خلالها طريقاً ممتازاً ومزدوجاً في معظمه، يتوفر على كافة الخدمات الضرورية. لايفوتني القول، أن مدينة خيبر التاريخية تقع في منتصف الطريق، وهي فرصة سانحة لمن أراد زيارة الحصن التاريخي الذي وقعت عنده معركة خيبر الشهيرة، وقد حاولت مشاهدة الحصن، لكن ضيق الوقت وقلة الخبرة بالمكان لم يسعفاني لتحقيق ذلك. يمكن الوصول الى العلا أيضاً عبر "مطار العلا الدولي"، الذي لفت نظري بتصميمه الأنيق الذي يحاكي ثيمة المدينة، بألوانه المستوحاة من الجبال الداكنة وتضاريسها الفريدة، ما يجعله بوابة مثالية تضعك في قلب التجربة منذ لحظة الهبوط.

سحر الطبيعة: تآلف الجبل والنخيل

أول ما يستقبلك في العلا هو ذلك الجمال الطبيعي المهيب؛ جبالٌ صخرية ضخمة بتكوينات هندسية صاغتها يد الطبيعة عبر العصور، تتدرج ألوانها بين الأحمر والذهبي والداكن تحت سطوع الشمس، وترسم الظلال على جنباتها لوحات متغيرة بمرور الساعات. ولاضير في أن تتصنع حالة مؤقتة من الباريدوليا (Pareidolia) مألوفة أنماط لإدراك البشري العقل ميل في تتمثل نفسية ظاهرة وهي أو الوجوه مثل الأشكال) في محفزات عشوائية أو غامضة مثل الصخور أو غيرها، وتطلق العنان لطائر خيالك ليحلق بعيداً في تخيل صور وأشكال شخصيات وحيوانات في الصخور لتعيش تجربة بصرية ممتعة ومسلية.

لكن هذا الشموخ الصخري يكسره اخضرار سعفات النخيل الباسقة التي تملأ الأرجاء، ما يضفي روعةً وبهاءً يغمر الروح. تفاجأت بكمية النخيل المنتشرة في المحافظة، حيث يوجد بها أكبر من أربعة ملايين نخلة ومائة وعشرين نوعاً من التمور. بوصفي إبناً للأحساء المحب لنخيلها وجبالها، لم أملك إلا أن أعجب بهذا الجمال الذي شاهدته في العلا؛ فهو مشهد استثنائي يخطف الأنظار وينافس أجمل بقاع الأرض.

ريادة تنموية وإدارة ملكية

لم تكن العلا لتصل إلى هذه المكانة العالمية لولا الاهتمام الفائق بأدق التفاصيل. منذ لحظة وصولنا لمركز الزوار، استقبلتنا حفاوة سعودية أصيلة، ومكان نظيف ومرتب تُقدم فيه القهوة السعودية مع تمر "المبروم" الفاخر الذي تشتهر به المنطقة، ما يُشعر السائح بتقدير خاص.

هذا الرقي يمتد ليشمل البنية التحتية من شوارع وإنارة ونظافة عامة، وكلها بمستوى "خمس نجوم".

وهذا التميز يعود للإشراف المباشر من "الهيئة الملكية لمحافظة العلا"، التي تعمل ضمن رؤية المملكة 2030 على تحويل المنطقة لوجهة عالمية فريدة تجمع بين الثقافة والاستدامة. ومن أبرز ملامح هذا العمل خطة "رحلة عبر الزمن" (Time Through Journey)، التي تُنفذ بالتعاون مع شركاء دوليين كاليونسكو، لضمان حماية المواقع الأثرية وتطوير السياحة المسؤولة.

أيقونات التاريخ والجمال

خلال أيامنا الأربعة، تنقلنا بين وجهات تفوق الوصف:

. الحِجر (مدائن صالح): أول موقع سعودي يدرج في قائمة اليونسكو. تجولنا بين أكثر من 140 مقبرة منحوتة، أشهرها "قصر الفريد". ولفت نظري التركيز على اسم "الحجر" hegra وتجنب المسميات الأخرى، مع التنبيه بأن الآثار نبطية في معظمها والقليل النادر منها ثمودية. قمنا بالزيارة مع استحضار العبرة الدينية، احتراماً للنهي النبوي عن دخول ديار المعذبين إلا مع الاعتبار.

. مملكة دادان وجبل عكمة: عاصمة الحضارات القديمة (دادان ولحيان)، حيث شاهدنا مقابر الأسود المنحوتة. أما جبل عكمة فهو حقاً "مكتبة مفتوحة" بمئات النقوش التي تروي تاريخ اللغات القديمة.

جبل عكمة

البلدة القديمة (الديرة): متاهة من الطوب اللبن تعود للقرن الثاني عشر، تضم 900 منزل وقلعة موسى بن نصير. المكان اليوم وجهة فاخرة ومنظمة، مثالية للتصوير والتسوق من الحرفيين المحليين، وتضم مطاعم ومقاهي ومكتبة ومعرض للفنون. المنطقة مؤهلة بالكامل للنشاط السياحي، ما يعطي السائح تجربة مريحة ومتكاملة.

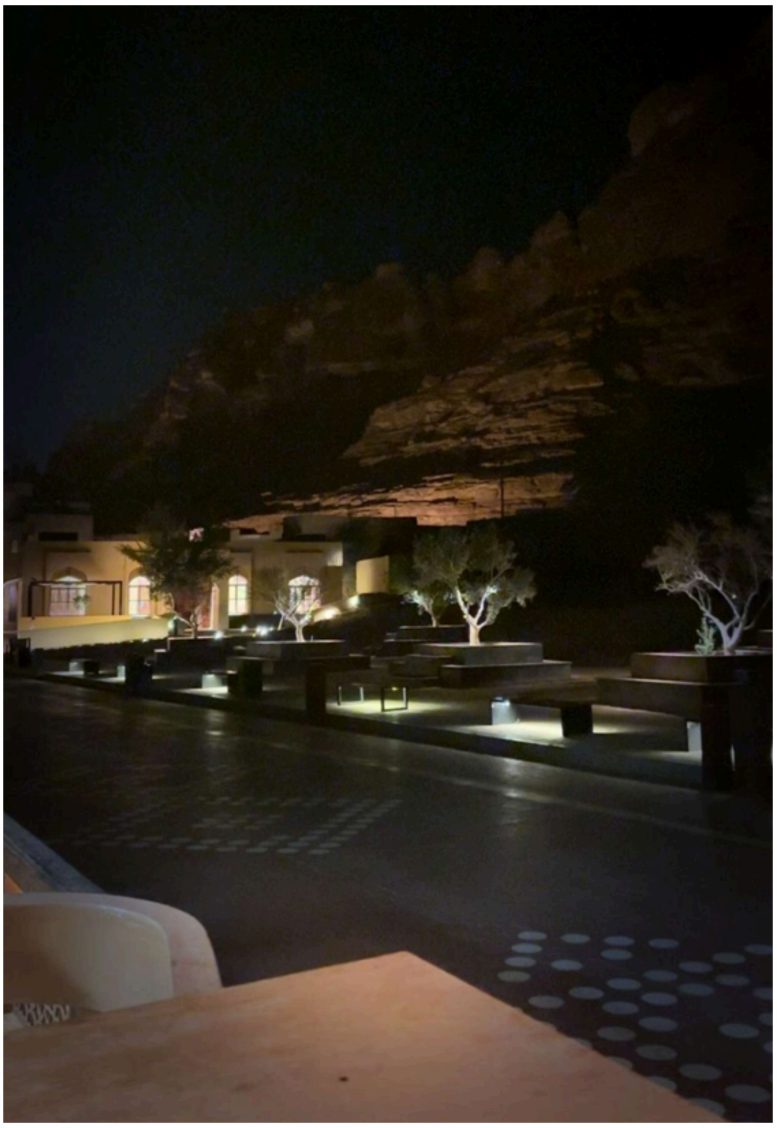

لقطة ليلية من المدينة القديمة

4. صخرة الفيل وقاعة مرايا: وقفنا أمام صخرة الفيل العملاقة وقت الغروب، وزرنا "قاعة مرايا" التي دخلت موسوعة غينيس كأكبر مبنى مرايا في العالم، حيث تندمج مع الجبال المحيطة في مشهد سريالي مذهل. مكان مثالي لالتقاط الصور التذكارية.

خرة الفيل

محمية شرعان وواحة العلا: استمتعنا بالمشي في مسارات الواحة الخضراء، واطلعنا على ملامح محمية شرعان التي تضم مشاريع عالمية قيد التنفيذ بتصميم المعماري "جان نوفيل"(لم تكتمل بعد)

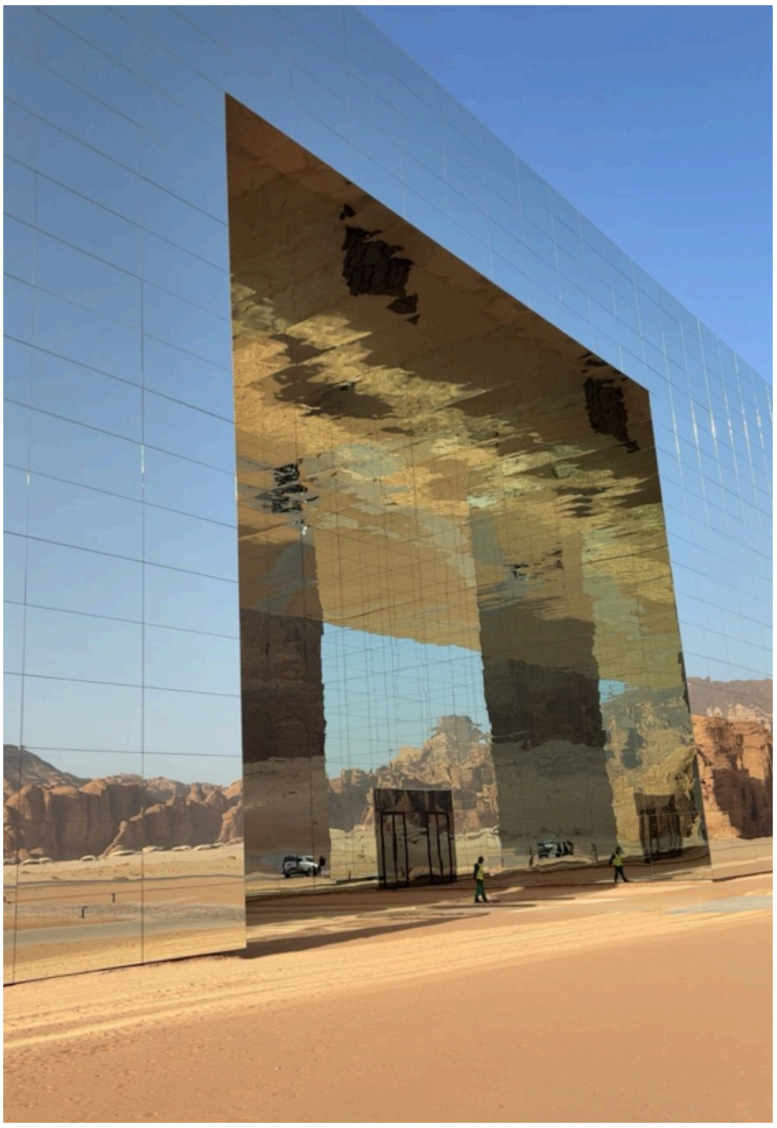

تجارب تحبس الأنفاس

لا يمكن اختصار العلا دون ذكر تجربة "منطاد الهواء الساخن" مع المشغل الرسمي (Balloon Hero Flights). على (درجة 360) بانورامية إطلالة يمنحك الشمس شروق عند متر 1200 ارتفاع على التحليق الحجر والوديان في صمت مهيب، وهي تجربة تستحق قيمتها البالغة 1300 ريال للشخص. جربتها شخصياً واعتبرها من التجارب التي لاتنسى، لايفوتني القول أن العلا هي الوجهة الوحيدة التي يتوفر فيها منطاد الهواء الساخن في السعودية.

كما لا تكتمل الزيارة دون الوقوف على "مطل الحرة" فوق قمة حرة عويرض البركانية (1219 متراً عن سطح البحر). الإطلالة من هناك تشبه "حافة العالم"، حيث تشاهد الواحة والبلدة القديمة وكأنها لوحة مصغرة

تحت قدميك. وما لفت نظري هو انبساط القمة الممتد لكيلومترات، وأتمنى حقاً أن نرى "تلفريك" يربط القمة بالأسفل مستقبلاً لزيادة متعة الوصول وغنى التجربة.

الهدوء الفاخر وتكلفة الرحلة

تعد العلا وجهة وادعة يسكنها قرابة 60 ألف نسمة، مما يوفر جواً من السكينة المنشودة. وتتوفر بها منتجعات فاخرة مثل (هابيتاس، بانيان تري، وشادن وكلاود 7)، مع خطط طموحة لإضافة 5000 غرفة فندقية بحلول 2035. وبالرغم من أن السياحة في العلا غالية نسبياً (بمعدل 10000- 7000 ريال لشخصين لأربعة أيام)، إلا أنها وجهة راقية ونادرة، ووجدتُها شخصياً تستحق كل ما يُبذل فيها من وقت ومال وجهد.

ختاماً، غادرنا العلا ونحن نحمل ذكريات لن تُمحى، وكلنا رجاء أن نعود لها بعد سنوات وقد اكتملت مشاريعها الطموحة ، لتكون وجهة يشار لها بالبنان. رأيت وجهة سعودية أثبتت للعالم أن المملكة العربية السعودية تمتلك كنوزاً تاريخية وطبيعية تنافس أعظم الوجهات العالمية.